

الأنساق المضمرة في أدب الطفل لدى كامل كيلاني ودورها في بناء الشخصية الثقافية للناشئة: قصة "علاء الدين" أنموذجا

The Latent Patterns in Children's Literature by Kamil Kilani and Their Role in Shaping the Cultural Identity of Young Readers; The Story of "Aladdin" as a Model

د. عبد الله مخطاري*

جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر (الجزائر)

m.abdellah@univ-mascara.dz

تاريخ الارسال 2026-03-26 تاريخ القبول 2026-08-21 تاريخ النشر 2026-09-20

ملخص:

يتناول هذا البحث الأنساق المضمرة في أدب الطفل عند كامل كيلاني، متخذاً من قصة "علاء الدين" نموذجاً للكشف عن البنى الثقافية والقيمية الكامنة خلف السرد الحكائي، وينطلق من فرضية مفادها أنّ نصوص كيلاني لا تقتصر على التسلية، بل تنطوي على منظومات دلالية خفية تُسهم في تشكيل وعي الطفل وتوجيهه تربوياً وثقافياً، ويعتمد البحث مقارنة النقد الثقافي للكشف عن هذه الأنساق بوصفها بنى تعمل في عمق الخطاب الأدبي عبر آليات جمالية وسردية. وقد بين التحليل حضور عدد من الأنساق الرئيسة، في مقدمتها النسق الأخلاقي الذي يتجلى في ثنائيات الخير والشر والصدق والخيانة، من خلال التحوّل التدريجي لشخصية البطل، والنسق الاجتماعي الذي يرسخ صورة الأسرة بوصفها نواة النظام الاجتماعي ومصدر القيم، كما يظهر النسق الثقافي الهوياتي عبر استدعاء التراث وربط الطفل بجذوره الحضارية، إلى جانب النسق التربوي الذي يوجّه المتلقي بصورة غير مباشرة من خلال تطوّر الأحداث. ويخلص البحث إلى أنّ نصوص كامل كيلاني تمثل خطاباً تربوياً وثقافياً متكاملًا يُسهم في ترسيخ القيم وتشكيل الوعي لدى الطفل، بما يجعل تحليل الأنساق المضمرة مدخلاً مهماً لفهم الدور العميق لأدب الطفل في بناء الشخصية الثقافية للناشئة.

الكلمات المتاحية: الأنساق المضمرة؛ أدب الطفل؛ كامل كيلاني؛ النقد الثقافي؛ القيم التربوية.

Abstract:

This study examines the latent patterns in children's literature by Kamil Kilani, taking the story "Aladdin" as a model to reveal the cultural and value-based structures embedded within the narrative. It is based on the assumption that Kilani's works are not limited to entertainment, but rather contain implicit systems of meaning that contribute to shaping the child's awareness and guiding it culturally and educationally. The study adopts a cultural criticism approach to uncover these patterns as deep structures operating within the literary discourse through aesthetic and narrative mechanisms.

The analysis reveals several major patterns, most notably the ethical pattern reflected in the oppositions of good and evil, honesty and betrayal, through the gradual transformation of the protagonist's character. It also identifies a social pattern that reinforces the image of the family as the nucleus of social order and the source of values. Furthermore, a cultural-identity pattern appears through the invocation of heritage and the connection of the child to their civilizational roots, alongside an educational pattern that guides the reader indirectly through the development of events.

The study concludes that Kilani's texts represent an integrated cultural and educational discourse that contributes to instilling values and shaping children's awareness, making the analysis of latent patterns an important approach to understanding the profound role of children's literature in forming the cultural identity of younger generations.

Keywords: Latent Patterns; Children's Literature; Kamil Kilani; Cultural Criticism; Educational Values.

1. مقدمة:

يُعدّ أدب الطفل العربيّ، في جوهره العميق، خطاباً ثقافياً يتجاوز حدود المتعة الحكائيّة المباشرة إلى بناء منظوماتٍ دلاليّةٍ كامنة، تتوارى خلف السرد البسيط، وتنهض بوظائف تربويّة وجماليّة وثقافيّة في آنٍ معاً، ولعلّ من أبرز رواد هذا الأدب كامل كيلانيّ الذي اغتدت كتاباته منذ مطلع القرن العشرين منبعاً خصباً لاستنبات القيم والتمثّلات في نفوس الناشئة عبر لغةٍ سهلةٍ ممتنعة، وصورٍ متخيّلة، وبنى حكاويّة محكمة، غير أنّ الظاهر اللغويّ السطحيّ في نصوصه لا يكاد يكشف إلّا القليل من طبقات الدلالة؛ إذ تستبطن حكاياته أنساقاً مضمرّة تتشكّل في عمق الخطاب، وتشتغل على إنتاج وعيٍ ثقافيّ مخصوص يتجاوز ما تقدّمه الحكاية من مباشرةٍ أو تلقين.

إنّ النسق —بالمفهوم النقديّ الحديث— ليس مجرد قيمةٍ تُذكر أو تُعلن، بل هو بناء ذهنيّ وثقافيّ يهيمن على الخطاب من داخله، ويتبدّى في اختياراته اللغويّة، وصوره، وصراعاته، ومسارات أفعاله، وهو في أدب الطفل أشدّ خفاءً، لأنّ الكاتب يتوجّه إلى متلقٍّ غَضّ البنية، سريع التلقّي، فيُمرّر إليه ما يرى أنّه كفيل بتشكيل وعيه، ومن هنا تأتي خطورة النسق وأهمّيّته معاً؛ إذ يكتسب وظيفة تربويّة وتكوينيّة لا تقلّ شأنًا عن الوظيفة الجماليّة.

2. في مفهوم النسق المضمّر وتجلياته عبر النقد الثقافي:

إنّ الحديث عن النسق المضمّر يقتضي الإقرار بأنّ النصّ الأدبيّ لا يُختزل في دلّالته المباشرة، بل هو شبكة من الإيحاءات، تتوارى في ثنايا السرد، وتتشكّل من خلال آليات عدّة: الثنائيات الضديّة، وأنماط الشخصيات، والحبيكات المتكرّرة، والصور الثقافيّة المتوارثة، والنسق بهذه الصورة هو —في جوهره— ما يَنسَرِب إلى النصّ دون تصريح، ويحتكم إلى منظوماتٍ معرفيّة واجتماعيّة وثقافيّة تؤثر "في تشكيل كيفية تفكيرنا في العالم وفهمنا له"¹، ومن هنا أتى النقد الثقافيّ ليشغل عليه، "فالنقد الثقافيّ هو الذي يدرس الأدب الفنيّ والجماليّ باعتباره ظاهرة ثقافيّة مضمرّة، وتعبير آخر، هو ربط الأدب بسياقه الثقافيّ غير المُعلن، ومن ثمّ، لا يتعامل النقد الثقافيّ مع النصوص والخطابات الجماليّة والفنيّة على أنّها رموز جماليّة ومجازات شكليةٌ مُوجّهة، بل على أنّها أنساق ثقافيّة مُضمّرة تعكس

مجموعة من السياقات الثقافية التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والقيم الحضارية والإنسانية، ومن هنا، يتعامل النقد الثقافي مع الأدب الجمالي ليس باعتباره نصاً، بل بمثابة نسق ثقافي يؤدي وظيفة نسقية ثقافية تُضمر أكثر مما تُعلن².

ففي النقد الثقافي، يُنظر إلى النسق المضمّر بوصفه البنية العميقة التي تُحرك الخطابات الأدبية الثقافية من غير أن تظهر مباشرة على سطح النص، فهو يعمل في الخفاء، مستنداً إلى ما تحتزنه الثقافة من قيم وتمثّلات ومعايير تشكّل الوعي الجمعي، ولذلك تتحوّل النصوص، حتى أبسطها، إلى حوامل لرسائل غير مصرّح بها "منغوسة في الخطاب، مؤلّفتها الثقافة، ومستهلكوها جماهير اللّغة من كتاب وقراء، يتساوى في ذلك الصغير مع الكبير، والنساء مع الرجال، والمهمّش مع المسوّد"³، وهي رسائل تمارس تأثيرها على القارئ من حيث لا يشعر، ممّا يكشف طبيعة النسق بوصفه قوّة متخفية تتسرّب إلى الوعي العام عبر اللّغة ذاتها.

وتتمثّل خطورة النسق المضمّر في كونه لا يعمل عبر التصريح المباشر، بل من خلال آليات التجميل والتزيين الجمالي، فكلّ خطاب جماليّ، مهما بدا بريئاً أو فنياً، قد يُخفي تحته نظاماً قيمياً يسعى إلى تثبيت تصوّر معيّن عن العالم، ولهذا فإنّ "كلّ دلالة نسقية محتبئة تحت غطاء الجماليّ ومتوسّلة بهذا الغطاء لِتُغرس ما هو غير جماليّ في الثقافة"⁴ فالجماليّ هنا ليس غاية لذاته، بل وسيلة تُمرّر عبرها الثقافة ما ترغب في ترسيخه دون إثارة شكّ أو مقاومة، ممّا يمنح النسق قوّة فاعلة في تشكيل الوعي الجمعيّ.

ومن أبرز الآليات التي يعتمد عليها النسق للتخفي ما يسمّيه النقد الثقافي بـ (الأقنعة) فالنسق لا يظهر مباشرة إلى المتلقّي، بل يتوارى خلف مظاهر جمالية أو سردية أو لغوية تُبعد الانتباه عن دوره الحقيقيّ، مظاهر في شكل "أقنعة تختبئ من تحتها الأنساق وتتوسّل بها لعمل عملها الترويض"⁵، فالقناع الجماليّ ليس بريئاً، بل يؤدي وظيفة ترويض المتلقّي واستدراجه إلى قبول نسق معيّن بوصفه طبيعياً أو بديهياً أو غير قابل للنقاش.

وترسّخ نظرية النقد الثقافيّ هذا الفهم بوضوح حين تجعل النسق المضمّر مفهوماً محورياً في تحليل الخطابات، فالثقافة بحسب هذا المنظور تُنتج أنساقاً مهيمنة، وتحافظ على استمراريتها عبر التخفي وراء جماليات النص، إذ "يأتي مفهوم النسق المضمّر في نظرية النقد الثقافيّ بوصفه مفهوماً مركزياً، والمقصود هنا أنّ الثقافة تملك أنساقها الخاصة التي هي أنساق مهيمنة، وتتوسّل لهذه الهيمنة عبر التخفي وراء أقنعة سميكة، وأهم هذه الأقنعة وأخطرها هو في دعوانا قناع الجمالية، أي إنّ الخطاب البلاغيّ الجماليّ يجنّب من تحته شيئاً آخر غير الجمالية، وليست الجمالية إلّا أداة تسويق وتمرير لهذا المخبوء، وتحت كلّ ما هو جماليّ هناك شيء نسقيّ مضمّر، ويعمل الجماليّ عمل التعمية الثقافية لكي تظلّ الأنساق فاعلة ومؤثّرة ومستديمة من تحت قناع"⁶، وهكذا يصبح النسق المضمّر جزءاً من استراتيجية الثقافة في التحكّم بالمعنى وتوجيه الوعي، بعيداً عن أيّ مواجهة مباشرة مع القارئ.

وفي أدب الطفل، يتضاعف حضور هذه الأنساق، لأنّ بنية الخطاب مهيّأة للتوجيه والتقويم، وبذلك يغتدي السرد البريء ظاهرياً حاملاً لشحناتٍ دلالية تتسلّل إلى القارئ في لطافة، دون أن تُحدث مواجهة صريحة معه، فمن

خلال رحلة أو مغامرة أو حكاية بسيطة، يتم تثبيت قيم بعينها، وإقصاء قيم أخرى، في علاقة جدلية بين الظاهر الترفيهي والمضمر التربوي.

3. الخطاب التربوي والأيدولوجي في أدب الطفل:

يُنظر إلى أدب الطفل بوصفه مساحة تخیلية وجمالية تؤدي وظيفة تربوية وثقافية في آن واحد، فهو ليس مجرد نصّ موجّه للمتعة أو سبيلاً لتمضية الوقت، بل هو تجربة تواصلية تُعيد تشكيل وعي الطفل وفق منظومة من القيم والمعايير الاجتماعية، ولهذا يركز إلى رؤية تعتبر أنّ "أدب الطفل هدفاً أساساً، هو تقديم الخبرات له، وتنمية قدرته على التفكير والتعبير، وزرع المهارات في نفسه، وغرس القيم التربوية والسلوكية الإيجابية، وتنمية شخصيته وتهذيب مكوّناتها، وإشباع حاجاته النفسية والوجدانية والاجتماعية؛ ليكون في النهاية فرداً صالحاً في مجتمعه، وعنصراً بنّاءً في محيطه"⁷ وبهذا المعنى، لا يظهر الخطاب التربوي بوصفه عنصراً عرضياً، بل يتحوّل إلى بنية عميقة تستبطن توجيه الطفل وترسيخ توجّهات المجتمع فيه.

ويمثّل أدب الطفل عملية ثقافية معقّدة، إذ يقوم على رؤية تعتبر أنّ "أدب الأطفال عمل إبداعي بطبيعته، وهو في الوقت نفسه اختزال للثقافات والمفاهيم والقيم والطموحات المستقبلية"⁸، ومن هذا المنطلق لا يمكن فصل الجانب الجمالي عن الجانب التربوي، فالبنية الفنية بكلّ مظاهرها، من الشخصيات إلى الحدث إلى اللغة، مرتبطة بعملية إنتاج النسق الثقافي، فحين تتسم القصة —مثلاً— باليسر والوضوح، فذلك يعود إلى أنّ "بساطة القصة تتصل بالمفردات والتراكيب، وبناء العبارة، وبناء الشخصية، والأحداث والعقدة"⁹، الأمر الذي يسهّل تمرير الأنساق من دون مقاومة لدى المتلقي الصغير، إذ تتحقّق القيم والأيدولوجيا داخل هذا الإطار البسيط الذي يبدو محايداً في ظاهره.

ولأنّ أدب الطفل يتوجّه إلى قارئ في طور التشكّل، فهو يؤدي دوراً ثقافياً بالغ الأهمية، إذ يُنظر إليه باعتباره رافعة لتكوين المنظومة القيمية والاجتماعية للجيل الجديد، انطلاقاً من أنّ "أدب الأطفال من الوسائل المهمة في حياة الطفل التي هي أساس مستقبل المجتمع كلّ، وعليه يقوم البناء العقلي والنفسي والعاطفي للإنسان، كما أنّ له دوراً ثقافياً يتمثّل في إكساب الطفل القيم والاتجاهات والسلوكيات السليمة، بالإضافة إلى تنمية العمليات المعرفية المتمثلة في التفكير والتخيّل والتحليل، كما أنّ لأدب الطفل دوراً مهماً في تسليّة الطفل وإمتاعه وتنمية مواهبه وتعريفه ببيئته وتنمية قدراته اللغوية والجمالية، كما يُرسّخ فيه الانتماء للوطن والأمة والعقيدة، ويساعد على صقل سلوك الأطفال وتربيتهم على القيم والأخلاق الفاضلة"¹⁰، ويتّضح بذلك أنّ الخطاب التربوي ليس مجرد إضافة تُلحق بالنصّ، بل هو جوهر عملية إنتاج أدب الطفل وعلة وجوده.

وبما أنّ النصّ الأدبي لا يُنتج في فراغ اجتماعي، فإنّ أدب الطفل يتأثّر بالبيئات الثقافية التي يصدر عنها، وبالمؤسّسات الاجتماعية التي تستثمره في توجيه الوعي، ولهذا يُنظر في إبداعه إلى الكلمة ذاتها باعتبار أنّ "الكلمة هي الظاهرة الأيدولوجية الأمثل"¹¹، فهي لا تحمل المعنى فحسب، بل تنقل تمثّلات المجتمع ورؤيته للعالم، "وقد اعتبر

رولان بارت أن النصّ لا فكاك له من الأيديولوجيا¹²، وهو تأكيد يجعل أدب الطفل مُثَمَّلًا صريحًا لهذه الرابطة بين اللّغة والنسق، نظرًا إلى طبيعة المتلقّي الذي لا يمتلك القدرة النقدية الكافية لكشف الخطاب الكامن وراء الكلمات. ومما يعزّز هذه الرؤية الارتباط العميق بين النصّ وواقع الطفل الاجتماعي، إذ "لم يكن أدب الأطفال يومًا بمعزل عن الواقع الذي يُكتب فيه، أو بعيدًا عن الجمهور الذي يُوجّه إليه، ومن جهة أخرى، لا يتعرّج الأطفال في فراغ، بل في إطار الأسرة وهي الإطار الاجتماعي الأوّل الذي يساهم في نموهم الفكري والعقائدي، هذه البنى والأطر الاجتماعية لها فكرها وعقيدتها وأيديولوجيتها، التي تسعى إلى تنشئة الأطفال عليها حتى يتمّ تأقلمهم معها، يمنح هذا أدب الأطفال دورًا مركزيًا كوسيط تربويّ في تنشئة المجتمعات وتنمية الأطفال فيها، إذ بمقدوره أن يساهم في تشكيل كثير من معالم شخصية الطفل"¹³، وعليه يغدو النصّ الأدبيّ موجّهًا برسالة تتقاطع فيها رغبات المجتمع وحاجات الطفل، فتدخل التربية بالأيديولوجيا لتكوين نسق ثقافيّ راسخ قد لا ينتبه إليه الطفل لكنّه يتسرّب ضمنيًا عبر السرد وشخصياته ورموزه.

كما لا يمكن إغفال الطبيعة الثقافية للنصّ القصصيّ بما أنّه النموذج الذي يعمل عليه هذا البحث، خاصّة حين نعلم عدم إمكانية "إغفال الدور الثقافيّ للقصّة في الطفل، فمع أنّها نوع أدبيّ فهي تحمل مضمونا ثقافيًا، لذا فإنّ الباحثين في الثقافة والشخصية يعتبرون تحليل القصص الشائعة عملية تقود إلى تحديد بعض سمات روح المجتمع الذي تشيع فيه، وتحليل قصص الأطفال بالذات يقود إلى الوقوف على سمات عديدة من بينها تحديد ما يريده الكبار لأطفالهم"¹⁴، وهنا يظهر البعد الأيديولوجي بوصفه صميمًا في بنية النصّ، يتجاوز بعدها الفني لتصبح حاملًا للقيم والصور الذهنية التي تصنع وعي القارئ الصغير، إذ يعبر عن طموحات الجماعة ويعيد إنتاج صورتها المثلى من خلال الطفل الذي تستثمر فيه هذه الرؤية.

4. الأنساق المضمرّة في نصوص كامل كيلاني:

1.4 النسق الأخلاقيّ، منظومة القيم وتوليد المثال:

تقوم نصوص كامل كيلانيّ على نسقٍ أخلاقيّ واضح الملامح، غير أنّه لا يُصرّح به دائماً تصريحًا مباشرًا، بل بينيه عبر شخصياتٍ تتماهى مع النموذج الأخلاقيّ المأمول، ففي قصّة "علاء الدين" يتكرّس الصراع بين الخير والشرّ بطريقة تجعل الطفل في لاوعيه ميثالًا إلى النموذج الخير، ليس لأنّ الكاتب يفرض ذلك قسرًا، بل لأنّ البنية الحكائيّة تُقدّم الخير باعتباره جوهر الوجود، هنا يتبدّى النسق في ثنائيّة تکرّر حضورها: الصدق/الكذب، الأمانة/الخيانة، الشجاعة/الجن، وليس النسق الأخلاقيّ عند كيلانيّ تعليمًا ساذجًا، بل بناء تدريجيّ تتكاثف فيه الأحداث لتقود إلى القيمة المنشودة دون تقرير أو وعظ فجّ.

وإذا أردنا التمثيل لذلك من القصّة نفسها، والاستشهاد على ما ذكرناه من خلال أحداث القصّة نفسها، فإنّنا نجد تأكيدًا واضحًا وتمثيلًا متكاملًا في الأحداث والشخصيات التي وردت في مقتطفات قصة "علاء الدين"،

إذ يتبدى النسق الأخلاقيّ فعلاً عبر صراع متكّرس بين الخير والشرّ، وبناء تدريجيّ للقيمة الأخلاقية، بعيداً عن الوعظ المباشر، كما يلي:

1.1.4 تكريس الصّراع بين الخير والشرّ، وثنائيّتيّ: الصدق/الكذب، والأمانة/الخيانة:

تعتبر العلاقة بين علاء الدين والساحر الإفريقيّ التمثيل الأوضح للصّراع بين النموذج الأخلاقيّ المأمول (الخير) والنموذج الفاسد (الشر)، وتّضح فيه ثنائيّة الصدق/الكذب والأمانة/الخيانة.

- **الكذب والخداع (الساحر الإفريقي):** يقوم الساحر الإفريقيّ بتجسيد الخبث والخيانة منذ ظهوره، فهو يخدع علاء الدين بادّعاء الكاذب بأنّه عمّه، شقيق والده مصطفى الخياط، فيُظهر البكاء والتألّم حزناً على وفاة أخيه المزعوم، ليحظى بثقة علاء الدين ووالدته، وفعلاً تُخدع الأمّ هذه الدعوى الكاذبة؛ رغم أنّها كانت تشكّ في كونه شقيق زوجها، لكنّها آمنت بصحّة دعواه عندما رأت اهتمامه بولدها¹⁵.
- **الخيانة والغدر (الساحر الإفريقي):** تتكرّس ثنائيّة الخيانة عندما يتبيّن الهدف الحقيقيّ للساحر، وهو الحصول على المصباح العجيب، وعندما يطلب الساحر المصباح أولاً ويرفض علاء الدين إعطائه قبل خروجه من الكنز (إدراك علاء الدين لسوء نية الساحر)، يغضب الساحر وينتقم منه بإغلاق باب الكنز عليه، قاصداً هلاكه، وهذه الحادثة هي ذروة الخيانة مقابل الأمانة المفقودة¹⁶.
- **تصاعُد الشرّ (شقيق الساحر):** النسق الأخلاقيّ ليس ساذجاً بل يواجه شرّاً متصاعداً، عندما يعود شقيق الساحر الإفريقيّ للانتقام، فيُظهر دهاء وخبثاً أشدّ من أخيه، ويجسّد الخيانة بقتل المرأة الصّالحة "فاطمة الزاهدة" ويتقمّص شخصيّتها، محاولاً تنفيذ مكيدة لإهلاك علاء الدين¹⁷.

2.1.4 البناء التدريجيّ للقيمة الأخلاقية (تحول علاء الدين):

لا يقدّم كيلاي "علاء الدين" كنموذج خير جاهز، بل يبيّن القيمة تدريجيّاً عبر تحوّل البطل، ممّا يدعم فكرة "بناء تدريجيّ تتكاثف فيه الأحداث لتقود إلى القيمة المنشودة":

- **نقطة البداية (السلوك المذموم):** يبدأ علاء الدين كصبيّ شديد العناد، وألف اللّعب والبطالة، وفسد خُلُقَه، حتّى يئس أبوه من إصلاحه، وهذا السلوك (الكسل والعناد) هو ما عرّضه للخداع من الساحر¹⁸.
- **التكفير والندم (التحول):** بعد أن يُعلّق عليه الساحر باب الكنز، يمرّ علاء الدين بفترة ندم شديد، فيتذكّر في كلّ لحظة ما كان يجلبه على والديه من كدّر بعصيانه وعناده، ويعلم أنّ المأزق الذي وقع فيه إنّما هو عقوبة له على سوء عمله، وبالتالي، هذه التجربة القاسية (الضيق الشديد) لم تكن وعظاً فجّاً، بل كانت بنية حكائيّة قادت إلى القيمة المنشودة (التوبة والاهتداء)¹⁹.
- **النموذج الخير المأمول (النتيجة):** بعد النجاة، يكره علاء الدين مصاحبة الأزدال، ويعاشر أخيار الرجال ورؤساء الناس، كما أنّه يُصبح بارّاً كريماً مُحسناً بالفقراء والمعوزين والمحتاجين والمساكين²⁰، وهذا التغيّر يؤكّد أنّ البنية الحكائيّة توجّه القارئ نحو النموذج الخير.

3.1.4 ثنائية الشجاعة/الجن وتتويج الخير:

تتجلى ثنائية الشجاعة في مواجهة علاء الدين لأعدائه، وتُقدّم البنية الحكائيّة الخير باعتباره جوهر الوجود من خلال انتصار البطل النهائي²¹:

- **الشجاعة في مواجهة الخطر:** عندما يدرك علاء الدين عودة الساحر الإفريقيّ الثاني متخفّياً في زيّ (فاطمة الزاهدة)، لا يستسلم للجن بل يدبّر وسيلة للقضاء عليه، وعندما يراه يستلّ خنجره ليقّته، يستلّ علاء الدين خنجره هو بحفّة نادرة ويطعنه في قلبه ويقتله فوراً، وهذا العمل الشجاع الحاسم ينهي الشر²¹.

- **الخير جوهر الوجود:** بعد التخلّص من الساحرين وشروهما، يصفو الزمان لعلاء الدين، وعندما يموت الإمبراطور، يتولّى علاء الدين وزوجته بدر الدور الأمر، ويحكمان بين الناس بالعدل، ويعمّ البلاد الأمن والرخاء²²، وهذا التتويج للعدل والأمن كنتيجة منطقية لانتصار الخير على الشرّ هو ما يكرّس النسق الأخلاقيّ الذي يجعل الطفل يميل إلى النموذج الخير في لاوعيه.

وبذلك، فإنّ نصوص كامل كيلاني في "علاء الدين" تمثّل بناءً تدريجياً متكاملاً للقيم، حيث تبدأ بانحراف البطل، وتمرّ بأزمة ندم وعقاب، لتنتهي بتحوّله إلى نموذج للفضيلة والشجاعة والعدل، وتتوّج سلطة الخير في نهاية القصة.

2.4 النسق الاجتماعيّ، تثبيت صورة الأسرة والسلطة:

يحمل كامل كيلانيّ، من حيث يشعر أو لا يشعر، تصوّراً اجتماعياً للوجود يتبدّى في بناء شخصيّاته العائليّة، فالأب -في معظم أعماله- رمزٌ للسلطة الحكيمة، والأمّ مصدر للحنان والتوازن، والطفل البطل يسير في دروب التجربة بحثاً عن اكتمال الذات، ففي قصّة "علاء الدين" تتكرّس الأسرة باعتبارها نواة النظام، وتُعاد إنتاج صورة المجتمع التقليديّ في إطار يتسم بالثبات، هذا النسق الاجتماعيّ يعمل على حفظ موقع الفرد داخل الجماعة، والتأكيد على أنّ النجاح لا يتحقّق إلّا بالعودة إلى منظومة القيم الاجتماعيّة كما ترسّخت عبر الأجيال، وفيما يلي تأكيد لهذه الرؤية من خلال تحليلٍ لِمَا ورد في القصة:

1.2.4 الأب رمز السلطة الحكيمة (حتى في فشلها):

على الرغم من أنّ الأب (مصطفى الخياط) ييأس ويموت قبل إصلاح ابنه، فإنّ دوره في القصة يتكرّس كنموذج للسلطة الأبويّة الحكيمة التي تسعى لحفظ موقع الفرد داخل الجماعة عبر العمل والقيم:

- **السلطة الحكيمة في التربية:** حاول مصطفى الخياط تعليم علاء الدين صنعة تنفعه إذا كبر، واستخدم لذلك وسائل اللين ووسائل العنف كالمعاقبة والزجر.

- **عواقب رفض السلطة:** إنّ يأس الأب ووفاته بعد مرضه الشديد يأتي كنتيجة مباشرة لعناد علاء الدين وعصيانه للتعليمات الأبوية، حيث "ضاعت جهود أبيه في إصلاحه، وهذا يؤكد أن الأب يمثل السلطة التي كان ينبغي على علاء الدين الانصياع لها.

2.2.4 الأم مصدر الحنان والتوازن والبرّ:

- تجسّد الأمّ الأرملة دور الحنان والتوازن والحفاظ على النواة العائليّة، خاصّة بعد غياب الأب:
- **التضحية والحنان:** بعد موت زوجها، تتبع الأمّ الدكان وتضطرّ إلى العمل بالغزل لتقتات هي وابنها، كما أنّها كانت تدعو لولدها في صلواتها بالهداية والتوفيق، وهو أقصى ما تستطيع فعله لولدها الذي أطلق لنفسه العنان في اللهو واللعب.
- **التوازن والحكمة:** عندما يطلب علاء الدين منها الذهاب إلى الإمبراطور لخطبة ابنته، تصرخ الأمّ مذعورة، وترفض الطلب قائلة: "جُنّنت أنت!"، وتصحّ ابنها بتدبير الأمر بحكمة وتعقل وبالزواج من فتاة أخرى، فهي بذلك تحاول تحقيق التوازن بين رغبات الابن الجنونيّة - من منظور المجتمع التقليديّ - وبين الواقع المؤدّي إلى الهلاك.
- **دورها في تحقيق نجاح الابن:** لا ينجح علاء الدين في مسعاه - الزواج من الأميرة - إلّا عندما تتدخل الأمّ حاملة الهدايا الثمينة، وتقوم بدور الوسيط الاجتماعيّ المقبول لدى الإمبراطور، حيث تتحدّث إليه متأدّبة خاشعة.

3.2.4 الطفل البطل يسير في دروب التجربة بحثًا عن اكتمال الذات:

ينطبق هذا الجزء من التصرّو النقديّ بقوة على علاء الدين، الذي لا تكتمل ذاته إلّا بعد مسار من الانحراف والتوبة، ثمّ التغيّر والالتزام بالقيم الاجتماعيّة المثاليّة²³.

4.2.4 الأسرة نواة النظام، والنجاح بالعودة للقيم التي تسعى لترسيخها:

- تؤكد خاتمة القصة على أنّ النجاح الاجتماعيّ الفرديّ الذي حقّقه علاء الدين لا يكتمل إلّا بكونه جزءًا من نظام اجتماعيّ أوسع قائم على القيم المتوارثة:
- **تكرار الأسرة كنواة للنظام:** عندما يتولّى علاء الدين وزوجته بدر الدور الأمر بعد موت الإمبراطور، فإنّهما يحكّمان بين الناس بالعدل، وتستقرّ البلاد ويعمّها الأمن والرخاء، وهذا يعني أنّ الأسرة السعيدة التي تأسّست على القيم من خلال علاء الدين المصلّح وزوجته الأميرة أصبحت هي نواة النظام الذي يريى المجتمع، ممّا أدّى إلى ارتقاء البلاد.
- **العودة إلى منظومة القيم الأسريّة:** نجاح علاء الدين بانتقاله من الفقر المدقع إلى الإمبراطور لم يكن مجرد نجاح فرديّ ماديّ، بل كان نجاحًا أخلاقيًا واجتماعيًا، فقد بدأ النجاح بتحمّله المسؤولية واجتنابه البطالة ومصاحبة الأرذال، وتوجّ بالعدل والإحسان، وهو ما سعت إليه أسرته منذ صغره، ورغم أنّه لم يستجب

لها باكراً إلا أنّ ما تعرّض له من ضيق جعله يستجيب وإن كان متأخراً، ممّا يؤكّد أنّ قيمة البطل لم تكن في القوّة السحرية، بل في تحوّله الأخلاقي الذي جعله جديراً بالسلطة. وهكذا، تخدم قصّة علاء الدين، من خلال تحوّل البطل وعودة العائلة، فكرة أنّ الخروج عن النسق الاجتماعي المتضمّن توقعات أبوية وقيماً مجتمعية عليا الذي جسّده علاء الدين في طفولته يؤدّي إلى الهلاك، بينما العودة إلى المنظومة الأسرية والقيمية البرّ، العدل، الإحسان، المسؤولية الأسرية، هي الطريق الوحيد للنجاح الحقيقيّ.

3.4 النسق الثقافي والهويّاتي، حضور التراث وتمثّلات الانتماء:

يُعدّ كامل كيلاني من أكثر كتّاب الطفل توظيفاً للتراث العربي والإسلامي، لا بوصفه مادّةً حكاية جاهزة فحسب، بل بوصفه إطاراً هويّاتياً يربط الطفل بجذوره الثقافية، فاستدعاء شخصيات "ألف ليلة وليلة"، أو استلهام المرويّات الشعبية، أو إعادة تشكيل الحكايات التاريخية، كلّ ذلك يؤسّس لنسقٍ هويّاتيٍّ مقصود، يهدف إلى جعل الطفل يعي -بطريقة لطيفة- أنّه ينتمي إلى حضارةٍ مترامية الجذور، والنسق هنا لا ينحصر في محتوى الحكاية، بل يتسرّب إلى طرائق السرد، وإلى الإيقاع اللغويّ المستمدّ من البيان العربيّ القديم، فكأنّ كامل كيلانيّ ينسج علاقة بين الحاضر والماضي عبر خيوطٍ حكاية لا تنقطع.

4.4 النسق التربوي، السلطة المضمرّة وتوجيه الوعي:

إذا كان النسق الأخلاقيّ يقوم على ترسيخ القيم، والنسق الاجتماعيّ على تثبيت مكانة الفرد، فإنّ النسق التربويّ يتعلّق بما يمكن تسميته "سلطة الخطاب"، أي قدرة النصّ على توجيه المتلقّي نحو سلوك معيّن، ففي نصوص كيلانيّ ثمة حرصٌ على تقديم العبرة، غير أنّها تأتي غالباً في سياق حكايةٍ طبيعيّ، فلا يشعر الطفل بأنّ ثمة سلطة تمارس على وعيه، بل تغدو العبرة نتيجةً لتطوّر الأحداث، ومن هنا فإنّ النسق التربويّ -وإن بدا هادئاً- يظلّ من أقوى الأنساق تأثيراً، لأنّه يشتغل في صمت، ونظراً لقوّة هذا التأثير ينبغي عدم تفويت هذا المقام للإشارة إلى "أهمية أن ينتبه من يكتبون للأطفال إلى أنّ لديهم واجب رعاية تجاه قرائهم، بمعنى أن يحرصوا على عدم إيذاء الأطفال عاطفياً أو تعليمياً [أو أخلاقياً]، وهذا القلق يذكرنا بأنّه في أدب الأطفال لا تكون العلاقة بين الكاتب والقارئ علاقة طرفين متساويين؛ بل إنّها أيضاً علاقة بين شخص بالغ وطفل"²⁴.

5. آليات اشتغال النسق في أعمال كيلانيّ:

إنّ اشتغال النسق المضمر لا يتحقّق عفوّاً، بل يقوم على أدواتٍ متعدّدة، لعلّ أبرزها ما يلي:

1.5 الشخصيات النمطية بوصفها حوامل دلالية:

يُنشئ كامل كيلانيّ شخصيات تتسم بملامح نمطية: البطل الفقير الذي يرتقي بالاجتهاد، الحكيم الذي يقدم النصّح، الخصم الماكر، الأمير الطيب... وهذه الأنماط ليست اعتباطية، بل هي أدوات يُمرّر عبرها النسق المضمر، لأنّ الشخصية النمطية تختصر منظومة القيم التي تمثّلها.

2.5 الثنائيات الضدية:

يحضر النسق غالباً عبر ثنائياتٍ متقابلة: الخير/الشر، النظام/الفوضى، الحكمة/الطيش، "فالنص الأدبي -وفق التحليل الثقافي- ينطوي على نسق مضمّر يُظهر جدليات الصراع بأبعاده الإنسانية والزمانية والمكانية من خلال الثنائيات الضدية"²⁵، وهذه الثنائيات لا تقوم بوظيفة سردية فحسب، بل تؤسس بنيةً دلاليةً تجعل الطفل ينحاز تلقائياً إلى أحد طرفيها.

3.5 البنية السردية الخطية:

يتميّز كيلاي ببنيةٍ حكايةٍ خطيةٍ تتدرّج فيها الأحداث نحو الهدف المنشود، وهذه البنية تجعل تلقّي النسق أكثر سهولة، إذ لا إرباك في الانتقال بين المراحل، فينصرف ذهن الطفل إلى الدلالة دون عائق.

4.5 اللغة السيرة ذات الإيقاع التراثي:

لغة كامل كيلاي يسيرة، ولكنها مشحونة بإيجاءات ثقافية تستمد من التراث العربيّ نفسها وإيقاعها، وهذه اللغة تُسهّل في تسهيل تمرير النسق، لأنها تجمع بين البساطة والجمالية، فتتحقق اللذة المعرفية والجمالية في آن.

6. دلالة الأنساق المضمرة في تشكيل وعي الطفل:

لا شك أنّ الأنساق المضمرة تسهم -بطريقة غير مباشرة- في تشكيل وعي الطفل، وتكوين رؤيته للعالم، فالمتلقي الصغير لا يستوعب النصّ بوصفه مجموعة من الأحداث فقط، بل يحمل عنه تصوّرات تُصبح لاحقاً جزءاً من بنيته النفسية، ومن هنا تبرز خطورة هذا الأدب وأهميته؛ إذ يشارك في بناء شخصية الفرد، وفي رسم حدود العلاقة بينه وبين محيطه، فالنسق الأخلاقيّ يؤسس لضمير يقظ، والنسق الاجتماعيّ يُكرّس تصوّراً للعلاقات داخل الأسرة والمجتمع، أمّا النسق الثقافيّ فبمنزلة الجسر الذي يربط الطفل بترائه ويخصّنه من الذوبان الهوياتيّ.

ويغدو النسق التربويّ -على وجه الخصوص- ذا أثر بعيد المدى، لأنّه يتسلّل إلى الطفل دون مقاومة، والحقيقة أنّ النصّ الذي يُخفي سلطة تربوية خلف حكايته قد يكون أبلغ تأثيراً من النصّ الذي يصرّح بهذه السلطة، لأنّ المتلقّي الصغير يتقبّل ما يأتيه عبر الحكاية أكثر ممّا يتقبّل ما يقدّم إليه عبر الأمر والنهي.

7. خاتمة:

يُبيّن تحليل نصوص كامل كيلاي أنّ أدب الطفل العربيّ -في صيغته الرفيعة- لا يُنتج سرّاً وحسب، بل يشتغل على بناء وعي عميق، عبر أنساقٍ مضمرة تتوزّع بين الأخلاق والاجتماع والثقافة والتربية، ولئن بدا كيلاي كاتباً يميل إلى البساطة والوضوح، فإنّ نصوصه، عند القراءة الفاحصة، تكشف عن اشتغالٍ دقيقٍ على مستويات الدلالة، وعن قدرةٍ على تمرير قيمٍ كبرى في هيئة حكايةٍ صغيرة، وهكذا يثبت أدب الطفل أنّه ليس جنساً هامشياً، بل خطاباً تربوياً وثقافياً وفتياً متكاملًا، وأنّ تحليل أنساقه المضمرة ضرورة لفهم دوره في صياغة تصوّرات الجيل الجديد، وبذلك، فإنّ أعمال كامل كيلاي، بما تحمل من جماليةٍ وحكمةٍ وعمق، تظلّ شاهداً على قدرة الحكاية العربية على تشكيل الوعي، وإغناء المخيلة، وإرساء القيم في نفوس الناشئة عبر فنّ ظاهره البساطة وباطنه الحكمة.

8. قائمة المصادر والمراجع:

- 1- جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، مجلّة الملتقى، المغرب، ع 27، فيفري 2012.
- 2- خولة أبو بكر ورافع يحيى، انعكاس صورة الأسرة في أدب الأطفال العربي وتأثيره على التنشئة الاجتماعية، مجلّة المجمع، مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها، فلسطين، ع 9، 2015.
- 3- سمر الديوب، الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالته، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، ط 1، 2017م.
- 4- سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة، الأردن، ط 1، 2006م.
- 5- عائشة رماش، تحليلات الخطاب الأيديولوجي في قصّة الطفل، مجلّة حوليات جامعة قلمة للغات والآداب، ع 17، ديسمبر 2016.
- 6- عبد الله الغدامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 3، 2005.
- 7- عبد الله الغدامي وعبد النبي اصطيف، نقد أدبي أم نقد ثقافي، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2004.
- 8- كامل كيلاني، علاء الدين، موقع صفحات، القاهرة، د ط، 2011.
- 9- كيمبرلي رينولدز، أدب الأطفال، تر: ياسر حسن، مؤسسة هندواي، القاهرة، ط 1، 2014.
- 10- محمد قصير وآخرون، أدب الطفل بين البعد التربوي والإبداع الفني، وزارة التربية والتعليم، د ط، 2023.
- 11- منال محروس، الطفل أهداف وغايات، مجلّة الجوبة، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، ع 32، 2011م.
- 12- ميخائيل باختين، الماركسية وفلسفة اللغة، تر: محمد البكري ومعنى العيد، دار توبقال، المغرب، ط 1، 1986م.

9. الهوامش:

- ¹ كيمبرلي رينولدز، أدب الأطفال، تر: ياسر حسن، مؤسسة هندواي، القاهرة، ط 1، 2014، ص 14.
- ² جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، مجلّة الملتقى، المغرب، ع 27، فيفري 2012، ص 103 – 135.
- ³ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 3، 2005، ص 79.
- ⁴ عبد الله الغدامي وعبد النبي اصطيف، نقد أدبي أم نقد ثقافي، دار الفكر، دمشق، ط 1، 2004، ص 33.
- ⁵ عبد الله الغدامي، النقد الثقافي: قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 78.
- ⁶ عبد الله الغدامي وعبد النبي اصطيف، نقد أدبي أم نقد ثقافي، ص 30.
- ⁷ منال محروس، الطفل أهداف وغايات، مجلّة الجوبة، مركز عبد الرحمن السديري الثقافي، ع 32، 2011م، ص 12.
- ⁸ سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، دار المسيرة، الأردن، ط 1، 2006م، ص 46.
- ⁹ المرجع نفسه، ص 45.
- ¹⁰ محمد قصير وآخرون، أدب الطفل بين البعد التربوي والإبداع الفني، وزارة التربية والتعليم، د ط، 2023، ص 4.
- ¹¹ ميخائيل باختين، الماركسية وفلسفة اللغة، تر: محمد البكري ومعنى العيد، دار توبقال، المغرب، ط 1، 1986م، ص 23.
- ¹² عائشة رماش، تحليلات الخطاب الأيديولوجي في قصّة الطفل، مجلّة حوليات جامعة قلمة للغات والآداب، ع 17، ديسمبر 2016، ص 240.
- ¹³ خولة أبو بكر ورافع يحيى، انعكاس صورة الأسرة في أدب الأطفال العربي وتأثيره على التنشئة الاجتماعية، مجلّة المجمع، مجمع القاسمي للغة العربية وآدابها، فلسطين، ع 9، 2015، ص 1.
- ¹⁴ سمير عبد الوهاب أحمد، أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية، ص 123 – 124.

- 15 يُنظر: كامل كيلاي، علاء الدين، موقع صفحات، القاهرة، د ط، 2011، ص 17-19.
- 16 يُنظر: المرجع نفسه، ص 25.
- 17 يُنظر: المرجع نفسه، ص 73-75.
- 18 يُنظر: المرجع نفسه، ص 11-13.
- 19 يُنظر: المرجع نفسه، ص 26.
- 20 يُنظر: المرجع نفسه، ص 31 و 62.
- 21 يُنظر: المرجع نفسه، ص 78.
- 22 يُنظر: المرجع نفسه، ص ص 78.
- 23 يُنظر: العنوان الفرعي السابق من هذا البحث "البناء التدريجي للقيمة الأخلاقية (تحوّل علاء الدين)".
- 24 كيمبرلي رينولدز، أدب الأطفال، ص 122.
- 25 سمر الديوب، الثنائيات الضدية: بحث في المصطلح ودلالته، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق، ط1، 2017م، ص 147.